



كتاب الصلاة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحج و تهذيب النفوس

اعلم يرحمك الله أن الحج رحلة إلى الله في دار الدنيا، يفارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهاه أسفار الدنيا، فاغنم - يارعاك الله - في الحج، فإن الحج مدرسة مباركة لتهديب النفوس وتزكية القلوب وتقوية الإيمان، فمن أحسن في حجه، واجتهد في تكميله وابتعد عن نواقصه ومفساته خرج منه بأحسن حال، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) صحيح مسلم.

وجدير بمن نال هذا الربح وفاز بهذا المغنم أن يعود إلى بلاده بحال زاكية ونفس طيبة وحياة جديدة مليئة بالإيمان والتقوى والاستقامة على طاعة الله.

فإن العلامة الواضحة لبر الحج، وقبوله أن يكون المرء قد آذاه خالصاً لله موافقاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن تكون حاله بعد الحج خيراً منها قبله.

الحج و العبادات القلبية

تعتبر أعمال القلوب هي الأصل الذي تنبني عليه جميع العبادات، وهي الأصل الذي يؤثر في الإيمان زيادةً ونقصاً. ويؤثر في التوحيد بقاءً وزوالاً، وأعمال القلوب هي الحركات والمشاعر التي يتبناها القلب نحو خالقه سبحانه، وهي الإقرارات والتصديقات التي يقولها بلسان حاله، وهي الموافقات الفعلية للأوامر والنواهي التي جاء بها الدين للعباد. هذا وإن الحج من أعظم المواقف التي يتجه فيها القلب بعبادته لله - عز وجل - وتظهر هذه العبودية في أحوال الحاج المختلفة ومنها:

حاله في الشعائر

مستحضر لقوله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) يقول الشيخ السعدي: أي ذلك الذي ذكرنا لكم من تعظيم حرماته وشعائره، والمرد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالى: (إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) ومنها الهدايا والقربان للبيت. ومعنى تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد. ومنها الهدايا، فتعظيمها، باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب . فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله.

حاله في الإحرام

فالحاج يخرج من ملاذ الدنيا ومحابها مهاجراً إلى الله سبحانه متجرداً من ثيابه المعتادة لابساً إزاراً ورداءً، حاسراً عن رأسه متواضعاً لربه تاركاً الطيب، أشعث أغبر، ففي هذه الحال يكون قريب القلب من ربه، فيكثر من الدعاء والذكر، ويصون نفسه عن ارتكاب المحظورات. قال تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ* فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ* وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ* وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى* وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

الآلِبَابِ) البقرة 197

كما أن هذه الهيئة تبعث صاحبها على الخضوع والخشوع إلى الله تعالى وهذا هو لب العبادة وروحها وتذكره بالرحيل ومفارقة الأنيس والخليل، وأنه ليس له من ماله إلا الأكفان. كما أن لباسه يذكره بموقف يوم القيامة حينما يأتي إلى ربه عاريا حافيا، فإذا ذكر ذلك الموقف العظيم زاده قربا إلى الله تعالى، وابتهاالا بين يديه، وخوفا منه، ورجاءً إليه، فلا يطغى أحد على أحد، ولا يمتاز فرد على فرد، ولا يظهر غني ولا فقير، ولا قوي و لا ضعيف. وإنما هم في موقف واحد، وفي عبادة واحدة قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد و لا يبغي أحد على أحد ".

حاله في التلبية

اعلم- رحمك الله- أن التلبية شعار الحاج والتنقل في أعمال المناسك. وهي شعار توحيد ملة إبراهيم عليه السلام. الذي هو روح الحج ومقصده. بل روح العبادات كلها والمقصود منها. فالمسلم يبدأ حجه أول ما يبدأ بإعلان التوحيد ونبذ الشرك قائلا " **لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**" يقولها ويرفع بها صوته، وهو في الوقت نفسه مستشعر ما دلت عليه من وجوب إفراد الله وحده بالعبادة والبعد عن الشرك. فكما أن الله متفرد بالنعمة والعطاء لا شريك له ، فهو متفرد بالتوحيد لا ند له. فلا يُدعى إلا الله . ولا يُتوكل إلا عليه. ولا يُستغاث ولا يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له.



فاجمع قلبك - رحمك الله - على معاني التلبية. فمن معانيها:
إن اتجاهي وقصدي إليك ومحبتي لك وإخلاصي لك، إنني
خاضع لك يا رب مستجيب لندائك منقاد لحكمك، ممتثل لأمرك.
أنا المقيم على طاعتك وأطعتك طاعة بعد طاعة ومقيم عندك
إقامة بعد إقامة.

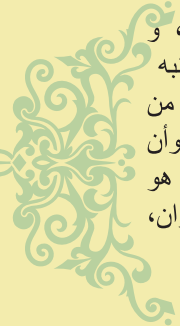
أطيعك أتصرف بإرادتك وأكون كالشيء الذي تصرفه بيدك
كيف شئت

واستحضر هذه المعاني كلما انتقلت من ركنٍ إلى ركن، ومن منسكٍ إلى
وتزكية نفسه آخر. فكم لهذا من أثر مبارك على المسلم في عبادة قلبه
وإصلاحها ومعالجة تقصيرها في أوامر الله والقيام بحقوقه سبحانه.



اعلم يرحمك الله أن الطواف بالبيت العتيق عبادة جليلة
وطاعة عظيمة، يحبها الله من عباده وشرعها لهم وأمرهم بها
وحظ كل واحد منهم من الكمال في هذه العبادة هو بحسب
حظه من المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

فإن إظهار العبودية حال الطواف بالبيت هو ملازمة المكان
المنسوب إلى ربه، بمنزلة عبد معتكف على باب مولاه، لائذ
بجنابه، ويستحضر أن طواف تعظيما لله وتحية لبيته لأن الله
اعتنى بهذا البيت العظيم، وأضافه إلى نفسه وهذه الإضافة
هي التي أقبلت بقلوب لعالمين إليه، وسأقت نفوسهم حبا له،
وشوقا إلى رؤية الحرم.



”فالساعي بينهما ينبغي أن يستحضر فقره وذله، و حاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاحه، وغفران ذنبه وأن يلتجئ إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص و العيوب، وأن يهديه الصراط المستقيم، وأن يثبتته عليه إلى مماته، وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران، والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام.“

تفسير القرآن لابن كثير

إن الواجب على كل مسلم قديم لأداء هذه الطاعة العظيمة أن يجتهد تمام الاجتهاد في معرفة هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحج وكيفية أدائه لمناسكه ليسلك منهجه ويسير على طريقته، وليأخذ عنه مناسكه، وليتأتى له بذلك الإتيان بالحج على التمام والكمال، إذ لا كمال في هذه الطاعة وغيرها من الطاعات إلا باقتفاء آثار الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - والسير على منهاجه. فإذا وصل إلى المسجد الحرام سن له تقديم رجله اليمنى، ويقول: (بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم أفتح لي أبواب رحمتك).

عند استلام الحجر الأسود يقول: (بسم الله والله أكبر) أو يقول (الله أكبر).
عند بدء الطواف يقول: (اللهم إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاءً بعهدك،
واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم).

ويستحب في طوافه أن يكثر من ذكر الله والدعاء، وإن قرأ فيه شيئاً من
القرآن فحسن. وأما ما أحدثه بعض الناس من تخصيص كل شوط من الطواف
أو السعي بأذكار مخصوصة أو أدعية مخصوصة فلا أصل له.
ويستحب له أن يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: (ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

فإذا فرغ من الطواف صلى ركعتين خلف المقام إن تيسر، ويُسنُّ أن يقرأ
فيهما بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون) في الركعة الأولى
و(قل هو الله أحد) في الركعة الثانية.

عند السعي

عند بدء الشوط الأول يقرأ قوله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) (البقرة: 158)، ويستحب أن يستقبل القبلة على الصفا، ويحمد الله ويكبره، ويقول: (لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده) ثم يدعو بما تيسر، رافعاً يديه، ويكرر هذا الدعاء والذكر ثلاث مرات ويفعل مثل ذلك على المروة دون تكرار الآية. واعلم أن الدعاء على جبل الصفا والمروة من المواطن العظيمة لاستجابة الدعاء فلا تزهد فيه.

ثم احذر: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا يستجيب الله دعاء من قلب لاهٍ)** صحيح الترمذي.

في يوم عرفة

اعلم وفقك الله لكل خير... أن يوم عرفة يومٌ عظيم من أيام الله المباركة، وموسمٌ جليل من مواسم الطاعة والعبادة، وأن العبد في حال وقوفه بعرفة بمنزلة عبد عصى مولاه، فوقف بين يديه متضرعاً منكسراً، حامداً له مثنياً عليه، مستغفراً لزللاته، مستقيلاً لعثراته.

ولهذا فإنه ينبغي للمسلم الراغب في الريح والمغتم في هذا اليوم المبارك أن يكون مخبتاً لربه سبحانه، متواضعاً له، خاضعاً لجنابه.

منكسراً بين يديه، يرجو رحمته ومغفرته، ويخاف عذابه ومقته. تائباً إليه من كل ذنب اكتسبته يده، ومن كل خطيئة مشت إليها قدماه.

غير مضیع لوقته في هذا الموقف العظيم بالذهاب هنا وهناك، أو بالحديث مع هذا وذاك.

بل يكون مقبلاً على ربه، ومكثراً من الذكر والدعاء والاستغفار والتضرع. وقد ثبت في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".
واعلم أن الشيطان حريص على أن يضيع عليك فرصة "رجع كيوم ولدته أمه"

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام" الموطأ.

المزدلفة

أخي الحاج استحضر قول الحسن البصري في وقت النفرة إلى المزدلفة (ليس الفائز من أسرع ولكن الفائز من يسرع إلى الجنة).
واعلم أن أشرف وقت في مزدلفة هو بعد الفجر ففيها الدعاء مستجاب ولا يقام في ليلة مزدلفة قيام ليل بل الراحة في هذا المقام عبادة فامتثل لأمر الله.

ولربك فأنحر: فالهدايا (الهدى) هي قربان إلى الخالق سبحانه تقوم مقام الفدية عن النفس المستحقة للتلف فديةً وعوضاً وقرباناً إلى الله وتشبهاً بإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام إحياءً لسنته أنقذ الله ولده بالقربان فجعل ذلك في ذريته باقياً أبداً.

واستحضر في قلبك الإخلاص فيها والاحتساب والنية الصالحة وابتغاء وجه الله بالعمل (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﷻ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

أيام الذكر (أيام التشريق في منى)

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ البقرة (٢٠٣).

يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافا لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيام التشريق، أيام أكل وشرب، وذكر الله".

ويدخل ذكر الله فيها، ذكر عند الرمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد. (تفسير الشيخ السعدي).

واعلم أخي الحاج أن الحج كله ذكر وقد سئل النبي، أي الحاج أعظم أجراً؟ قال: أكثر الله ذكراً...".

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال: **"إنما جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل"**. سنن أبي داود

فإذا علمت ذلك فلتحرص على ملازمة ذكر الله في جميع الطاعات، في صلاتك وصيامك وحجك وجميع عباداتك، فإن أجرك في كل عبادة بحسب ذكر الله فيها.

الحج كله منافع

والحج مدرسة جامعة لكل الخير، يتعود فيها المسلم على الصبر، ويتذكر فيها اليوم الآخر وأهواله، ويستشعر فيها لذة العبودية لله، ويعرف عظمة ربه وجلاله، وخضوع الخلائق بين يديه، وشدة حاجتهم إليه.

والحج موسم كبير لكسب الأجور، تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات، يقف الحاج بين يدي ربه مقراً بتوحيده، معترفاً بذنوبه، مقراً بعجزه عن القيام بحق ربه، ممتثلاً لأمر ربه، فيرجع من الحج نقيماً من الذنوب كيوم ولدته أمه.

وفي الحج من أسباب التقوى ما لا يحصل في غيره فقد تكررت الوصية بتقوى الله في سياق آيات الحج من سورة البقرة.

وقد قال سبحانه: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) البقرة 197

وختم جل وعلا آيات الحج بقوله: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) البقرة 203

والتقوى هي أعظم وصية التي لا يزال السلف الصالح
يتواصلون بها لأنها خير زاد.

قال طلق بن حبيب رحمه الله: " تقوى الله أن تعمل بطاعة
الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية
الله على نور من الله تخاف عقاب الله". صحيح مسلم

وإن مما يعين العبد على تحقيق التقوى والعناية بها: أن يتذكر الموت والوقوف بين يدي الله والجزاء والحساب والجنة والنار. **وانتبه أخي الحاج** : أن المسلم لا سبيل له أن يجزم بقبول عمله مهما أجاد فيه وأحسن، قال تعالى في بيان حال المؤمنين الكمل وشأنهم فيما يتقربون به إلى الله تعالى من الطاعات: {والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون} المؤمنون 60 أي يعطون من أنفسهم ما أمروا به من عبادات من صلاة وزكاة وحج وصيام وغير ذلك، وهم خائفون عند وقوفهم بين يدي الله من أن تكون أعمالهم غير منجية وطاعتهم غير مقبولة، وإنما يعلمون أن القبول رحمة وفضلا من الله.

